السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة

تأليف

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج

الشافعي - خطيب جدة

(ت ١٠١٠ هـ)

حققه وقدم له

د . علي محمد عمر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بور سعيد - [illegible]

السلاح والعدة في تاريخ بندر جدة

تأليف

عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج
الشافعي - خطيب جدة
(ت ١٠١٠هـ)

حققه وقدم له

د. علي محمد عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية
بجامعتي المنيا والإمام بالرياض
ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ ش بورسعيد ـ الظاهر
ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٣٦٢٧٧

إهداء

إلى زوجتى الشهيدة عزة...

رفيقة الرحلة فى طلب المعرفة

د/على

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

المؤلـــف وكتابــــه :

هو: عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعى، خطيب جدة وعالمها، مولده ووفاته بجدة، وهو من المؤرخين الذين ساروا على نهج جار الله ابن فهد فى تدوين تاريخ جدة، حيث أسهم فى هذا اللون من التأليف بكتاب أسماه: **«السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة»** وهو هذا الذى نقدم له اليوم.

وقد رتبه على مقدمة وفصول، والمقدمة فى بضعة سطور فى سبب تسمية جدة بهذا الاسم، والفصل الأول فى فضلها، وما ورد فيها من الأخبار، والفصل الثانى فى أول من جعلها ثغراً لمكة، وتناول فى الفصل الثالث سبب عمارة سور جدة فى أوائل القرن العاشر الهجرى، أما الفصل الرابع فقد تناول فيه ما اشتملت عليه جدة من قبـور العلماء والصالحين، وانتهى الكتاب بالحديث عن قبر عفيف الدين بن عبد الله المظلوم.

المصادر التى أفاد منها ابن فرج :

لا نعرف عن بدايات التأليف فى تاريخ جُدَّة ـ وخاصة المؤلفات التى أفاد منها اللاحقون ـ سوى ما أورده الفاكهى المتوفى سنة ٢٧٧هـ فى كتابه «أخبار مكة» الذى كتب عنها تحت عنوان «ذكر جُدَّة والتحفظ بها وبما فيها وأنها خزانة مكة»(١).

(١) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢.

وقد أفاد منه ابن فرج بمناسبة الحديث عن فضل الرباط فى جدة، وإن كان الاقتباس منقولاً عن الفاسى.

كذلك يوجد اقتباس من رحلة ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ وذلك بمناسبة الحديث عما رآه ابن جبير بجدة من أثر سور محدق بها.

كما أفاد ابن فرج كذلك من ابن المجاور المتوفى بعد سنة ٦٢٦هـ فى كتابه «تاريخ المستبصر» وإن كان الاقتباس عن طريق جار الله ابن فهد ـ وذلك بمناسبة الحديث عن سور جدة القديم من أنه يرجع إلى عهود الفرس وأنهم الذين قاموا ببنائه.

كذلك أفاد المؤلف من الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ فى كتابه شفاء الغرام، وذلك بمناسبة الحديث عن فضل المرابطة بجُدّة، والحديث عن أن أول من جعل جُدّة ساحلا لمكة عثمان بن عفان.

أما ابن ظهيرة المكى صلاح الدين محمد المتوفى سنة ٩٤٠هـ فقد أفاد منه المؤلف فى كتابه تاريخ جدة، وذلك بمناسبة الحديث عن جباية خراج جُدة من قبل والى مكة آنئذ داود بن هاشم أو شكر بن هاشم الحسنى.

كذلك أفاد المؤلف من جار الله ابن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ فيما كتبه عن سور جدة قبل الإسلام عندما أرجعه إلى عهود الفرس، وكذلك صهاريج جدة التى أقامها الفرس آنئذ.

وثمة مصادر أخرى أفاد منها ابن فرج، وهى المصادر التى لم تدون لتاريخ جدة أساساً، وإنما وردت بها إشارات سريعة إلى جدة فى ثنايا كتابات مؤرخيها، ومن ذلك ما اقتبسه المؤلف عن الغزالى فى الإحياء بمناسبة الحديث عما ورد فى فضل جدة من آثار، وكذلك بمناسبة الحديث عن بعض الصلحاء وما ظهر لهم من كرامات.

وكذلك ما اقتبسه المؤلف عن ابن حجر فى لسان الميزان من الأحاديث والآثار الواردة فى فضل جدة.

ومن مكونات كتابات ابن فرج كذلك الأخبار التى استقاها عن طريق المشافهة، ومنها على سبيل المثال: «أخبرنى الثقات أن سبب عمارة سور جُدّة، لما حصل بمكة المشرفة وجدة المحروسة نهب وقتل وسفك من بعض عربانها.. وهم بنو إبراهيم...».

وأخبرنى الشيخ طاهر من بنى المساوى الجبنى.. وذلك بخصوص أوصاف وأخبار تتعلق بمسجد أبى العنبة بجدة.

منهج ابن فرج:

ضمن ابن فرج مادته فى حديثه عن جدة طائفة من الأخبار والحوادث التاريخية اتسم فيها منهجه بالاعتدال، وذلك حين تناول بناء سور جدة فوصفه وصفاً دقيقاً قد لا نجده فى مصدر سواه، فتناول ارتفاعه وطول محيطه من ناحية مكة واليمن والشام، وعرض جداره، كما تناول أبراجه ومحيط كل برج منها وارتفاعه وما إلى ذلك.

وفى غضون ذلك تظهر بعض ملامح ابن فرج المنهجية الفريدة من الإشارة إلى العملات والمقاييس التى كانت سائدة آنئذ، حيث أشار إلى أن جملة ما صرف على عمارة السور وملحقاته مائة ألف دينار غورى، وكان صرف الدينار الغورى وقتئذ ثلاثين محلقاً كبيراً فى المعاملة.

كما أشار إلى ذراع العمل وذراع النجار ـ أو النجارى ـ الذى كان يستعمل آنئذ.

كما تناول الحملة البحرية التى أعدها السلطان الأشرف قانصوه الغورى بقيادة

الأمير حسين الكردى سنة ٩١١هـ، لتحصين جُدّة لتكون على استعداد لصد أى عدوان خارجى مفاجئ من جانب البرتغاليين.

على أن الأمر الذى يثير الانتباه أنه على الرغم من أن السبب الرئيسى فى إعداد هذه الحملة هو الغزو البرتغالى كما أشار إلى ذلك ابن إياس وغيره من المؤرخين، إلا أن المؤلف أضاف سببًا آخر لهذه الحملة، وهو عمليات السلب والنهب التى قام بها عربان بنى إبراهيم لجدة ومكة، ولم يكن حينئذ على جُدة سور، وهكذا أغفل ابن فرج الأسباب الرئيسية التى دفعت الغورى إلى إرسال هذه الحملة، وجعل سببها الرئيسى أعمال السلب والتخريب من جانب عربان بنى إبراهيم وأتباعهم.

وكيفما كان الأمر فقد وصف لنا ابن فرج عملية تحصين جدة وبناء سورها وصفا رائعا.

وفى معالجته لمساجد جُدة لم يكتف بإيراد عددها وأسمائها، وإنما تطرق إلى تاريخ إصلاحها وكيفية ترميمها والقائمين على عمارتها.

وكذلك تناول ابن فرج الفئات الاجتماعية التى سكنت جدة فى عصره.

وإذا كان منهجه فى إيراده لهذه الأخبار قد اتسم بالاعتدال والصدق فإن منهجه فى الأخبار التالية ابتعد عن ذلك تمامًا، فسلك فيه سبيلاً يبعد عن الوعى الدينى وعن نبذ الخرافات والأساطير، فأورد طائفة من الأخبار البعيدة عن الصحة والتى تجرى مجرى الخرافات، مقتديا فيها بمن سبقه من المؤرخين، ويبدو أنه ذكرها باعتبارها قصصاً شائعة، فهو تارة يسندها إلى علماء التاريخ والسير، وتارة يسندها إلى غيرهم، وذلك كإيراده لسبب تسمية جدة بهذا الاسم كونها منزل أم البشر حواء، وكونها دفنت بها، فهى جَدّة جميع العالم.

وكذلك إيراده لطائفة من الأحاديث التى نسبها للرسول ﷺ فى الفصل الذى عقده فى فضل جُدّة وما ورد فيها من الأحاديث والأخبار ـ وكلها أحاديث موضوعة.

وإيراده أيضًا لطائفة من الكرامات التى وقعت لبعض الصالحين.

ومهما يكن من أمر فإنه على الرغم من بعض الأخبار التى ساقها ابن فرج والتى جرت مجرى الخرافة والأساطير، فقد تمكن بمنهجه من إبراز الجانب الحضارى والعمرانى لمدينة جدة فى عصره بصورة فريدة.

هذا وقد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على مخطوطتين:

الأولى: نسخة جامعة استانبول برقم ١٢٧ ع، نُسِخَتْ سنة ١١٨٦هـ، وعدد أوراقها ٢٠، فى كل صفحة ١٥ سطرًا، وقد رمزت إليها بالحرف (س).

الثانية: النسخة التيمورية بدار الكتب المصرية برقم ٢٢٠٧ تاريخ تيمور، نُسِخَتْ سنة ١٣١٥هـ، وتقع فى ٢٨ صفحة، فى كل صفحة ١٥ سطرًا، وقد رمزت إليها بالحرف (ت).

القاهرة فى سنة ١٩٩٧م

د. علــــى عمــــر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل ثغر جدة افضل الثغور وشرفه باضافة
الي بيت السعيد الذي من دخله كان امنا من كل محذور
ان فضل مرابطيه علي سائر المرابطين كفضل مكة
علي سائر البلدان في سائر الازمان والدهور والصلوة فيه
بسبعة عشر الف صلوة والدرهم الواحد بمائة الف ويغفر الله
للناظر فيها مد بصره مما يلي البلد كذا وهو عن عباد بن
كثير [illegible] ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي
جعل الجهاد للعبادة سببا لنيل الاجور [illegible] ان سيدنا
ومولانا وملاذنا وحبيبنا وشفيعنا [illegible] صلي الله عليه وسلم
الذي جاهد في الله حق جهاده حتي اقر الحق علي قواعده
بسداده وثبته علي تمكين اوتاده في كل ورود وصدور صلي الله عليه وسلم
وعلي اله واصحابه الامرين منهم والمامورين [illegible] وبعد فاني لما
رايت الاعيان من ذوي الفضل وخواص الزمان من اهل
العقد والحل تقربوا بقربانهم وتغربوا عن اهليهم واوطانهم
وخدموا

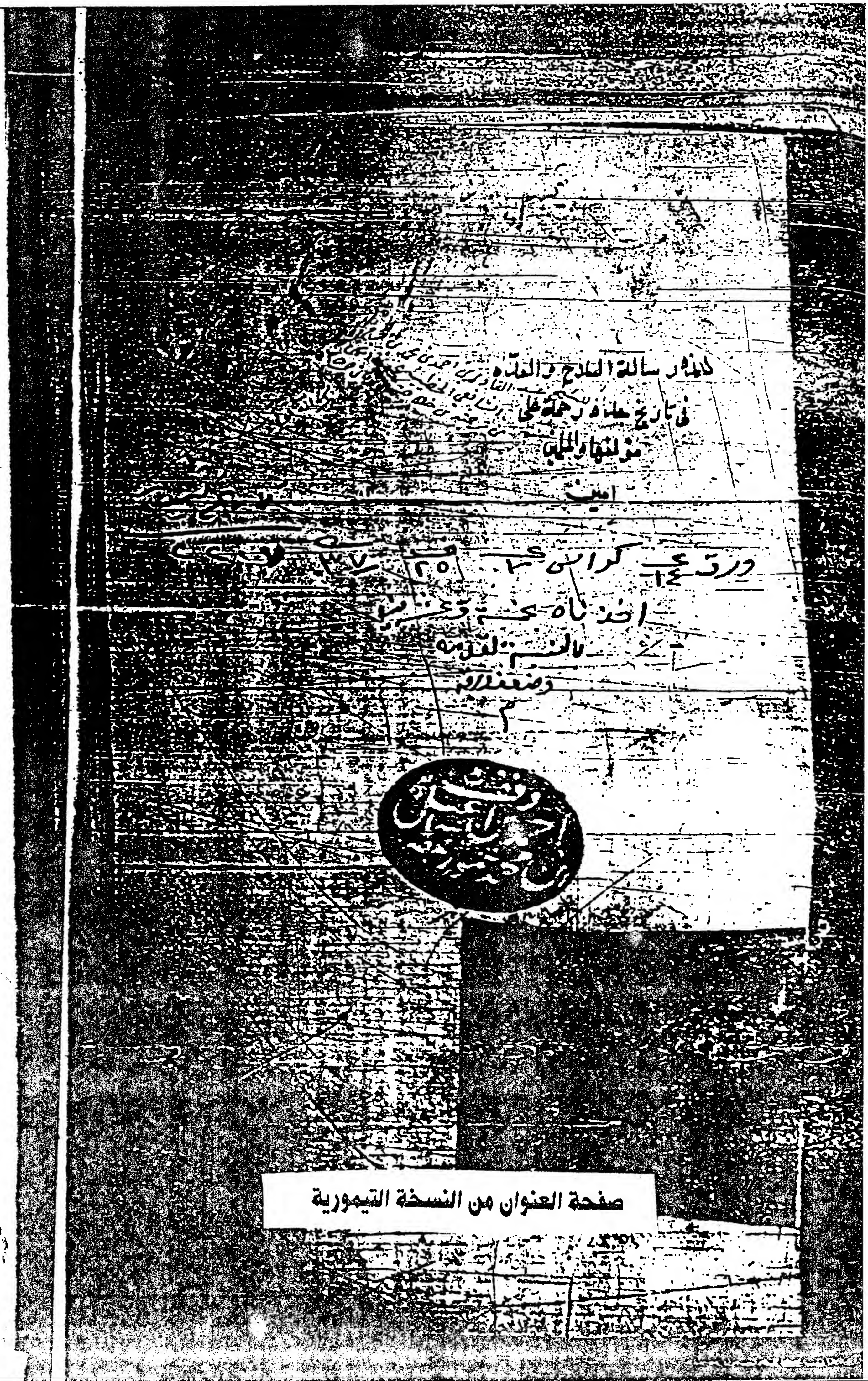
الصفحة الأولى من نسخة استامبول

بالعفة والكرم والديانة مولى تحل له الحيا وله لوا الملك
يعقد مولى اشتهر بالثنا الحسن الجميل فهو باعتابه معقود
والمعروف ببابه معروف ومقصود والفضلاء والشعرا
بكعبة حرمه تطوف والاضياف وطلاب الاسعاف
بساحته ركوع وسجود وعكوف وامن به هذا الثغر
الشريف وما اقتري ولاشك في كونه بعد ابيه ملك
الوري وحيث كان الامر كما ذكر وسطر دعاني
الي تاليف هذا التاريخ ما اوجبه وفرضه من خدمة
من يذكره هذا الكتاب مستطر وسميته السلاح
والعدة في تاريخ بندر جده ورتبته على مقدمة
وفصول وخاتمة فيما ورد في فضلها من الاحاديث
وما اشتملت عليه من المآثر والمشاهد والزوايا
والمساجد والكرامات التي بها من الاولياء الاخيار
المقدمة الاولى من سبب تسميتها بجدة نقل الحافظ
العلامة المحدث جار الله ابن فهد ان السيد الفاسي ذكر
في

الصفحة الثالثة من نسخة استامبول
وفيها عنوان الكتاب كما اسماه المؤلف

بركة كرامته والمؤمنين امين هذا ما انتهى
الينا من التواريخ والله اعلم وبالله التوفيق وصلى الله
على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه وسلم
وكان فراغ نسخه يوم الاحد ثامن عشر
من رمضان بعد الظهر على يد المعترف
بالعجز والعيوب احمد بن محمد
يعقوب الامام بمقام الحنفي
المكي حالا من عام ستة
وثمانين ومايه والف
٨٦

الصفحة الاخيرة من نسخة استامبول



صفحة العنوان من النسخة التيمورية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل ثغر جدة أفضل الثغور وشرفه بإضافته إلى البيت
السعيد الذي من دخله كان آمنا من كل محذور وأن فضل مرابطه على سائر
المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان في سائر الأزمان والدهور والصلاة
فيه بسبعة عشر ألف صلاة والدرهم الواحد بمائة ألف ويغفر الله
للناظر فيه مد بصره مما يلي البلد كذا وهو من عباد كثيرة وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له الذي جعل الجهاد للعباد سببا لنيل الأجور وأشهد
أن سيدنا ومولانا وملاذنا وحبيبنا وشفيعنا محمدا صلى الله عليه
وسلم الذي جاهد في الله حق جهاده حتى أقام الحق على قواعد مهاده
وثبته على تمكين أوتاده في كل وروده صلى الله عليه وسلم وعلى آله
وأصحابه الآمرين منهم والمأمورين صلاة وسلاما دائمين إلى يوم البعث
والنشور . . . فإني لما رأيت الأعيان من ذوي الفضل وخواص الزمان
من أهل العقد والحل تقربوا إلى ... بأنهم في تغربوا عن أهلهم وأوطانهم
وخدموا بأرواحهم وأجسادهم من أهل الله تحت الولاية على جيران بيت
العتيق والذب عن سكان بلده وحاضريه وقاصديه من كل فج عميق والحجاج
والعمار والوفود والقاطنين والعاكفين والركع السجود وتشرفوا بحماية حماه

وتشرفوا

الصفحة الأولى من النسخة التيمورية

اليمانية جدده حتى صار كاللؤلؤة المغسلة فشكر الله سعيه

الخالصة الزكية واجرى الخيرات على يده للرعية امين وفيها من

المشهورين بالصلاح والعلوم الشيخ سيدي عفيف الدين

المظلوم قبره داخل السور في جهة الشام وسمى المحل و

فيها بالمظلوم من باب تسمية المحل باسم الحال له كرامات

في البلاد فايقة تاتي اليه النذور والصدقات من جميع

تاتي من الهند والشام واليمن وبر العجم ولم يكن فيها نذر

غاية التعب ونهاية الندم وكل من حلف عند قبره حانثا

والسقم ولهذا من اراد تغليظ الايمان على الخصوم يحلفهم عند

نفعنا الله تعالى ببركاته وجعل لنا نصيبا من كراماته

والمسلمين اجمعين والحمد لله رب العالمين تمت بحمد الله

بيد كاتبها الفقير محمد عبده ابن الشيخ

المرحوم محمد المغراوي يوم الجمعة

المبارك الموافق ١٥ جماد الثاني

١٢١٥

الصفحة الاخيرة من النسخة التيمورية

الحمد لله الى جعل ثَغْرَ جُدَّة أفضل الثغور، وشرفه بإضافته إلى بيت السعيد، الذى من دخله كان آمنًا من كل محذور. وإن فضل مرابطيه على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان فى سائر الأزمان والدهور، والصلاة بسبع عشرة ألف صلاة، والدرهم الواحد بمائة ألف درهم، ويغفر للناظر فيها مَدّ بصره مما يلى البلد(١)، كذا. وهو عن عباد بن كثير.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذى جعل الجهاد لعباده سببًا لنيل الأجور، وأشهد أن سيدنا ومولانا وملاذنا وحبيبنا وشفيعنا محمد ﷺ، الذى جاهد فى الله حق جهاده، حتى أقرّ الحق على قواده بمهاده، وثبته على تمكين أوتاده، فى كل ورود. صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الآمر منهم والمأمور.

أما بعد: فإنى لما رأيت الأعيان من ذوى الفضل وخواص الزمان من أهل العقد والحل تقربوا بقرباتهم، وتغربوا عن أهلهم وأوطانهم، وخدموا بأرواحهم وأجسادهم مَنْ أهل الله تعالى الولاية على جيران بيته العتيق، والذب عن سكان بلده، حاضريه وقاصديه من كل فج عميق، الحجاج والعمار والوفود والطائفين والعاكفين والركع السجود، وشرفه بحماية حماه، وخصه بفواضل فضائل لم يؤْتَها أحدٌ سواه من الكرم والشجاعة والهمة العالية والبراعة، هو سيدنا ومولانا السيد الشريف، ذو الحسب

(١) أورده الفاسى فى شفاء الغرام ١/ ١٤٠ وفيه: مما يلى البحر.

والنسـب المطهر المنيـف، نسـل الأكرميـن، وسلالة آل طه ويسن، ونخبة آل عبد مناف الأعظمين الليث الهمام، والبطل الضرغام، حامى حمى بلد الله الأمين، ومَدينة سيد المرسلين(١)، وأشرف ثغور العالمين، زين الشمائل والمناقب الأعظام، مولانا السيد داود ابن مولانا السيد هاشم(٢)، بلغه الله أسنى المطالب والمآرب، كما ورثه خصائص جده الإمام على بن أبى طالب ﷺ وكرم وجهه، مولًى نشأ فى حجر الملك والصيانة، وفاق فى حلبة السباق أقرانه، وتقدم عليهم بالعفة والكرم والديانة، مولًى تحل له الحياة، وله لواء المُلك يُعْقَد، مولًى اشتهر بالثناء الحسن الجميل، فهو بأعتابه معهود، والمعروف ببابه معروف ومقصود، والفضلاء والشعراء بكعبة حرمه تطوف، والأضياف وطلاب الإسعاف بساحته ركوع وسجود وعكوف، وأمن به هذا الثغر الشريف وما اقترى، ولا شك فى كونه بعد أبيه ملك الورى، وحيث كان الأمر كما ذكر وسطر، دعانى إلى تأليف هذا التاريخ ما أوجبه وفرضه من خدمة من بذكره هذا الكتاب مستطر، وسميته:

السلاح والعُدَّة فى تاريخ بندر جُدَّة(٣)

ورتبته على مقدمة وفصول وخاتمة فيما ورد فى فضلها من الأحاديث، وما اشتملت عليه من المآثر والمشاهد والزوايا والمساجد والكرامات لمن بها من الأولياء الأخيار.

---

(١) س «ومدينة جدّه سيد المرسلين»

(٢) الهواشم: ينسبون إلى أبى هاشم محمد بن الحسن بن محمد ... بن الحسن السبط، وهم الذين حكموا مكة بعد السليمانيين، وبقيت فيهم إمرة مكة حتى سنة ٥٨٩هـ. (القلقشندى: صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٠ وقلائد الجمان ص ١٦١).

(٣) ت «السلاح والعدة فى تاريخ جُدّة».

المقدمة فى سبب تسميتها بُجدّة :

نقل الحافظ العلامة المحدث جار الله ابن فهد: أن السيد الفاسى ذكر فى مسودة(١) له أن سب تسميته جُدَّة بهذا الاسم كونها منزل أم البشر حَواء، وكونها دُفنت بها، فهى جدّة جميع العالم(٢).

ونقل أيضا عن الحافظ مجد الدين(٣) ابن الأثير فى النهاية: الجُدّ ـ بالضم ـ شاطئ البحر، والجُدة أيضا، وبه سميت المدينة التى عند مكة جُدَّة(٤).

(١) الذى ذكره جار الله ابن فهد (ت٩٥٤هـ) بخصوص هذا الخبر أنه نقله عن جده، ونصه كما أورده جار الله فى حسن القرى: « وقد رأيت جدى الحافظ نجم الدين عمر بن فهد المكى رحمه الله تعالى ذكر فى مسودة بلدانياته، أن سبب تسميتها بجُدّة لأنه نزلتها أم البَشَر حواء ودفنت بها، فهى جَدّة جميع مَن فى العالم».

(٢) القول بأن اسم جَدّة ـ بالفتح ـ مشتق من وجود قبر حواء الأسطورى فى هذه المدينة قول باطل، فجدة موجودة قبل نشوء هذه الخرافة، واقتران التسمية بحواء إنما دعا إليه مجرد قدم الاسمين وورودهما فى التوراة مقترنين، فيرد فى الطبرى عن ابن إسحاق أن أهل التوراة قالوا: «أهبط آدم بالهند، وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة» والصحيح أن جُدّة ـ بالضم ـ مشتق من حد البحر أى شاطئه، ولم يعرف عن علماء اللغة ولا من العلماء المتقدمين من قال بأن اسم جدة مشتق من حواء التى هى جدة الإنس، وأقدم من ذكر هذا هو نجم الدين ابن فهد (ت ٨٨٥هـ) ثم نقل عنه حفيده جار الله ابن فهد (ت ٩٥٤هـ) هذا القول.
(حمد الجاسر جدة القديمة وسكانها ص١١٢، ١١٥، العرب ج ١، ٢ سنة ١٧، سنة ١٩٨٢م).
هذا وورد لدى الذهبى فى ميزان الاعتدال ج١ ص٣٣ ترجمة إبراهيم النيسابورى: قال ابن عدى: له مناكير، فمن ذلك.... وأهبطت حَواء بجدّة» ومثله لدى ابن حجر فى لسان الميزان ج ١ ص ٦٣.

(٣) مجد الدين: تحرف فى الأصلين إلى «عز الدين» وصوابه لدى ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٤ ص ١٤١ وانظر مقدمة النهاية لابن الأثير.

(٤) ابن الأثير: النهاية (جدد) ولديه شاطئ النهر، مكان شاطئ البحر هنا.

فصل

في فضل جدة وما ورد فيها من الأحاديث والآثار

رُوِى عن شيخ الإسلام ابن حَجَر العسقلانى فى كتابه لسان الميزان بسنده عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «إذا كان على رأس السبعين والمائة سنة، فالرباط بجُدّة من أفضل ما يكون من الرباطات» وروى أيضًا بسنده عن ابن عمر ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جُدة». وروى أيضًا عن على بن أبى طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة من أبواب الجنة فى الدنيا: اسكندرية وعسقلان وقزوين وعَـبَّادَان[1]، وفضل جُدّة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت»[2].

وفى شفاء الغرام للسيد الفاسى، رحمه الله، بسنده عن عبد الله بن عَمرو[3] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباط وجُدّة جهاد».

(١) عبادان: جزير فى فم دجلة البصرة، وبها بليدة فيها مشاهد ورباطات للمتعبدين، وكانت فى زمن الفرس مسلحة لهم يسكن فيها قوم من الجند لحراسة تلك الجهة (مراصد الاطلاع).

(٢) فى مثل هذه الأحاديث يقول الشوكانى فى الأحاديث الموضوعة ص ٤٣٦ «وقد توسع المؤرخون فى ذكر الأحاديث الباطلة فى فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم، فإنهم يتساهلون فى ذلك غاية التساهل، ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه». ثم أورد الشوكانى حديث «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة» وذكر أن ابن عدى رواه عن ابن عمر مرفوعًا، وفى إسناده: محمد بن عبد الرحمن البيلمانى، وليس بشيء، حدث عن أبيه بمائتى حديث موضوعة. كما أورد كذلك حديث «أربعة أبواب من أبواب الجنة.. الحديث. وذكر أن ابن حبان رواه عن على مرفوعا، وفى إسناده عبد الملك بن هارون، كذاب. وانظر كذلك لسان الميزان ج ٤ ص ٧١.

(٣) عمرو: تحـرف فى الأصلين إلى «عمر» وصوابه لدى الحضراوى فى الجواهر المعدة، وقد =

وفيه أيضا بسند الفاكهى[١] إلى ابن جُرَيج[٢] قال: عطاء يقول: إنما جُدة خزانة مكة، وما يؤتى به إلى مكة لا يخرج منها[٣].

وفيه[٤] أيضا عن ابن جريج عن أبيه عن جده [إنى] لأرجو أن يكون فضل مرابطى جُدّة على سائر المرابطين كفضل مكة على سائر البلدان[٥].

وبسنده أيضا عن ضوء بن فج[٦] قال: كنت جالسا مع عَبّاد بن كثير[٧] فى

= ذكر فيه صراحة باسم «عبد الله بن عمرو بن العاصى» وهو لدى الفاسى فى شفاء الغرام، ج١ ص١٤٠ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. ولدى الذهبى فى الميزان، ج ٣ ص ٢٦٣: «عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، إذا حدّث عن أبيه عن جده فهو كِتاب، فمن هنا جاء ضعفه وإذا حدّث عن سعيد أو سليمان بن يسار أو عروة، فهو ثقة، أو نحو هذا». والحديث أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(١) محمد بن العباس الفاكهى مؤلف أخبار مكة، وهو كتاب حسن جدا، لكثرة ما فيه من الفوائد النفيسة، وفيه غنية عن كتاب الأزرقى، كان حيا سنة ٢٧٢هـ (الفاسى: العقد الثمين ج ١ ص ٤١٠).

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد المكى: قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبى: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج وابن أبى عروبة. مات سنة ١٤٩هـ (ابن حجر: تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٢٠٢).

(٣) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١ ص ١٤٠ وقد نقله الفاسى عن الفاكهى من كتابه فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.

(٤) فى س: «وفيها» تحريف

(٥) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١ ص ٤٠ وما بين الحاصرتين منه. وقد أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.

(٦) كذا فى الأصول، ومثله لدى الحضراوى فى الجواهر المعدة. ولدى الفاسى فى شفاء الغرام «حنو بن فخر» أما المحب ابن فهد فقد ذكره فى حسن القرى باسم «ضوء بن فخر».

(٧) هو عباد بن كثير الثقفى البصرى أحد المجاورين بمكة. قال العجلى: ضعيف متروك الحديث (الفاسى: العقد الثمين ج ٥ ص ٩٠ وابن حجر: تهذيب التهذيب ج ٥ ص ١٠٢).

المسجد الحرام، فقلت: الحمد لله الذى جعلنا فى أفضل المجالس وأشرفها، فقال: وأين أنت من جُدّة، الصلاة فيها بسبع عشرة ألف صلاة، والدرهم الواحد بمائة ألف درهم، وأعمال البر بقدر ذلك، يُغفر للناظر [فيها] مَدَّ بصره. قال: قلت: يرحمك الله، مما يلى البحر؟ قال: مما يلى البحر(١).

وعن فَرْقَد السَّبَخِيّ(٢) أنه قال: يكون فى آخر الزمان بجُدّة شهداء ليس على وجه الأرض قبلهم شهداء.

وبسنده أيضا عن ابن عباس ﷺ إلى عبد الله بن سعيد أن فَرْقَد السَّبَخِيّ قال: إنّى رجل أقرأ هذه الكتب، وإنى لأجد فيما أنزل [الله عز وجل] من كتبه: جُدَّة أو جُدَيْدَة ـ بالجيم ـ يكون فيها شهداء، لا شهداء على وجه الأرض أفضل منهم(٣).

قال الإمام حجة الإسلام الغزالى فى كتابه إحياء علوم الدين: إن بعض الأولياء كوشف فرأى جميع الثغور تسجد لعبّادان، وعَبَّادَان تسجد لجُدّة(٤).

(١) الفاسى: شفاء الغرام، ج ١ ص ١٤٠ وما بين الحاصرتين منه. والخبر لدى الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣. كما أورده ابن ظهيرة فى الجامع اللطيف ص ٨١، وجار الله ابن فهد فى حسن القرى، ص ٢٠، ٢١، والحضراوى فى الجواهر المعدة: العرب ج ٧، ٨ ص ٥٤٣.

(٢) السَّبَخى: ذكره الذهبى فى الميزان ج ٣ ص ٣٤٥ بقوله: قال أبو حاتم: ليس بقوى. وقال البخارى: فى حديثه مناكير. وقال النسائى: ليس بثقة، مات سنة ١٣١هـ.

(٣) أورده الفاسى فى شفاء الغرام ١/ ١٤١ والفاكهى فى أخبار مكة ٣/ ٥٥ وما بين الحاصرتين منهما.

(٤) إحياء علوم الدين ١/ ٢٤٢.

فصل

فى أول من جعلها ثغرا لمكة شرفها الله تعالى

نقل السيد الفاسى فى شفاء الغرام، أن أول من جعل جُدّة ساحلا لمكة، عثمان بن عفان ﷺ، بعد أن استشار الناس، وكانت الشُّعَيْبَةُ[١] قبل ذلك ساحل مكة[٢].

وذكر ابن جُبَيْر رحمه الله تعالى فى رحلته: أنه رأى بجُدَّة أَثَرَ سُورٍ مُحْدِق بها[٣].

وقال جار الله ابن فهد: وبها رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها، وأنها كانت مدينة كبيرة، وأنها كانت فى زمن الفرس، وأن سَلْمان الفارسى وأهله سكنوها لأنهم كانوا قَومًا تجارًا، وهم الذين بنوا سورها الأول، وقيل: الذى بناه يَزْدَجُرْد بن [برويز ابن يَزْدَجر بن] شهريار [بن بهرام] والمشهور أنه من بنيان الفرس إجمالا، وأنهم لما بنوه أتقنوا بناءه، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار، وجعلوا فيه أربعة أبواب: أحدها باب الدّومة فى جهة الشام، وباب المدبغة فى جهة اليمن، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلْسَم إذا سُرِق فى البلاد شيء وُجد بالغداة اسم السارق مكتوبا فى الحجر، وباب مكة فى جهة القبلة، وباب الفُرضة مما يلى البحر[٤].

---

(١) قرية على شاطئ البحر وكانت مرفأ السفن من ساحل البحر الأحمر (ياقوت)

(٢) الفاسى: شفاء الغرام ١/ ١٤١.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.

(٤) ابن فهد حسن القرى ص ٢٣. وانظر: بحث بعنوان: حول مدينة جدة لحمد الجاسر. العرب ج ٣، ٤. السنة الخامسة عشرة، ص ٢٣٦.

وحفروا حول البلد خندقًا عظيمًا فى الوسع والعمق، وكان يدور ماءُ البحر حول البلد(١)، وهى يومئذ شبه جزيرة فى وسط لجة البحر، فلما حصن الفرس(٢) البلد غاية التحصين وخافوا من ضيقة الماء، عمروا ثمانية وستين صهريجًا داخل البلد ومثلها خارجها، وقيل ثلاثمائة داخلها ومثلها خارجها(٣).

ثم إن الفرس خرجوا منها واندرست، وكان سبب خروجهم فيما ذكره صلاح الدين ابن ظهيرة(٤) الشافعى حينئذ، قاضى جُدة، ذكره فى تاريخه لجُدّة ومنه نقلت [و] هو أن والى مكة المشرفة، داود بن هاشم [الحسنى] وقيل: شكر بن هاشم الحسنى، وكان يُجْبَى إليه خراج البندر ـ يعنى جُدّة ـ فى كل عام حملٌ من قُضْبان الحديد أو النحاس، ففى بعض السنين غلط الخازندار، وبعث إليهم الخراج حِمْلاً من قضبان الذهب، فسكت الشريف إلى العام القابل، وبعثوا إليه مثل العادة حِملا من الحديد فرده ولم يقبله الشريف وقال: ما آخذ منكم إلاَّ ذهبًا مثل العام الماضى، فتفقدوا خزائنهم، فوجدوا الخازندار غلط وبعث لهم الحمل الذهب فتعبوا لذلك(٥).

فقام كبيرهم وجمع أعيان دولته وأكابرها، وأشار عليهم بالخروج عنها لكونهم

(١) تحرف فى «س» إلى: «وكان الماء يدورها حول البلد» كما تحرف لدى ابن فهد فى حسن القرى الذى ينقل عنه المصنف هنا إلى: «وكان يدورها البحر حول البلد» وصوابه فى «ت» والحضراوى الذى ينقل عن جار الله ابن فهد.

(٢) س «فلما حصنوها الفرس» وفى ت «فلما حصنوا الفرس».

(٣) جار الله ابن فهد: حسن القرى ص ٢٤.

(٤) هو محب الدين محمد، ابن ظهيرة، المتوفى سنة ٩٤٠هـ (شذرات الذهب ج ٨ ص ٢٤٣) هذا ولا يعرف شىء عن تاريخه لمدينة جدة، سوى ما نقله عنه ابن فرج هنا، ثم من بعده الخضراوى فى الجواهر المعدة فى فضائل جدة.

(٥) أورده الحضراوى نقلا عن ابن ظهيرة كذلك وما بين الحاصرتين منه وانظر أيضا: ابن المجاور: تاريخ المستبصر ص ٤٥، ٤٦.

يعجزون عن ذلك في كل عام، ويعجزون عن محاربته، وجعل لهم مثلا[1]، وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور: أحدها صحيحًا سالمًا، والثانى منتوف الجناح، والثالث مذبوحا، وقال لهم: إن خرجتم الآن فأنتم مثل هذا الطائر الحى السليم، لا يُقْدَرُ عليكم، وأرسله في الجو، وإن جلستم إلى العام القابل تكونوا مثل هذا المنتوف الجناح، مَنْ طَرَدَهُ أمسكه، وأرسله يجرى برجله، وإن جلستم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا المذبوح، وألقاه بين أيديهم، فاستصوبوا رأيه، وأخذوا ما يعز عليهم ويمكنهم حمله، وسافروا في سفنهم بحراً وتفرقوا في البلدان يمنا وشمالا وسواكن وَدَهْلَك، فلما خلت البلدة من سكانها استوطنها الأعراب من كل مكان من جميع الجهات[2].

ولهذا أن أهلها أوائلهم من جميع الآفاق، من أرض الصعيد وهم المريسة من بلد اسمها مرّيسَة[3].

ومن أرض اليمن وهم الحفصة من بنى حفيص[4]، ومن ظفار وهم بنو الظفارى، ومن جبل صبح وهم بيت الصبحى، ومن شراكسة مصر وهم بيت بنى قرقاص، ومن وادى مرّ وهم بيت المريرى، وبيت الحبحبى، وبيت التكرورى، وهؤلاء هم أهل جدة وأعيانها قديماً، وانقرض بعضهم وبقى البعض.

---

(١) كذا فى ت ومثله لدى الحضراوى وفى س «مثالا».

(٢) أول من تناول هذه الخرافة هو ابن المجاور فى كتابه المستبصر ص ٤٥، ٤٦ وكان قد وصل إلى جدّة سنة ٦٢١هـ. ثم تداول هذه الخرافة بعض من أرخ لجدّة ومنهم ابن ظهيرة الذى ينقل عنه المصنف هنا. وكذلك أوردها الحضراوى فى الجواهر المعدة فى فضائل جدة. هذا وقد أشار الحضراوى عقب إيراده لهذه الرواية بقوله: وهذه العبارة من أولها لا أصل غالبًا بحيث أن جدة لم يسكنها غير العرب قديماً، ويؤيده استعمال الصديق وعثمان والرشيد لعمال عليها.

(٣) لدى ياقوت: مَرِّيسَة: قرية بمصر وولاية من ناحية الصعيد.

(٤) بنو حفيص من القبائل اليمنية التى كان لها دور فى فتن مكة زمن ولاية محمد بن بركات.

وأما فقهاؤها فهم بنو ظَهِيرَة[١]، وهم قضاتها من قريش مكة، وأول من سكنها منهم عبد الحى، والجحانين وأول من سكنها منهم جدهم الشيخ على بن الصديق الجحنون، المقبور بجُدّة، وكان من أهل العلم والصلاح، وبنو المذكور[٢] الأشراف من بنى القُديمى[٣] أول من سكنها منهم السيد سليمان بن المذكور، وصل من اليمن، ومقبور بمكة المشرفة، وهو بيت ولاية وكرامة مشهورة. وبيت المساوى الجبنى، أول من سكنها منهم الشيخ أحمد بن الصديق، المقبور بجُدّة[٤]، وله كرامات باهرة، يأتى ذكرها إن شاء الله تعالى. وبيت بنى فرج من أرض اليمن من بنى الجبنى من أهل الخور، وأول من سكنها منهم الفقيه فرج، وكان يعلم القرآن بمسجد شميلة. وأول من سكنها منهم واشتهر منهم بالعلم أحمد بن محمد بن فرج، والد صاحب هذا التاريخ، وشيخه السيد أحمد بن سعيد الجبنى من جُبن بأرض اليمن، تفقه على يده كثيرون من أهل البلد وهو مقبور بجُدّة، والشيخ حميد بن جمعة الجُبنى العالم العلامة، أقام بجدة سنين ودفن فيها، وتفقه عليه كثيرون.

وبها من أولياء اليمن مَن أقام بها إلى أن مات وقبره بها وذريتهم باقية إلى الآن، منهم بنو الشاذلى القرشى على بن عمر الأموى، ومنهم بنو الزيلعى من ذرية عقيل ابن أبى طالب، ومنهم السادة الأكارمة المهادية. ومنهم السادة الأشراف آل باعلوى، نفع الله ببركاتهم، آمين.

---

(١) قبيلة كانت تقيم بمكة، منها حفاظ وعلماء ومحدّثون (كحالة: معجم قبائل العرب، ج ٢ ص ٦٩٧.

(٢) ت «المذكر».

(٣) بنو القديمى: بطن من العلويين باليمن (تاج العروس) وانظر الحضراوى ص ٥٥١.

(٤) الحضراوى: الجواهر المعدة فى فضائل جدة، ص ٥٥١.

٢

فصل

فى سبب عمارة هذا السور الموجود بواقيه الآن
فإنا لله وإنا إليه راجعون

أخبرنى الثقات أن سبب عمارته لما حصل بمكة المشرفة وجُدّة المحروسة خلف ونهب وقتل وسفك من بعض عربانها البغاة وبدوانها الطغاة، وهو بنو إبراهيم[١] من أهل ينبع وزبيد، ومن تبعهم من أهل الفساد والزيغ والعناد، خرجوا من الطاعة وخالفوا مَن أوامره ونواهيه واجبة عليهم ومطاعة، ونهبوا جُدّة ومكة ومعهم طائفة من عصبة الشراكسة يسمون العادلية[٢]. وصل فارس منهم من العادلية إلى جُدّة ولم يكن عليها حينئذ سور [و أ] خرج الخواجا محمد بن يوسف القارى من بيته وحمله على فرسه ووصل به إلى بلاد زبيد طائفة مالك بن رومى ولم يفكوه إلاّ بِجُعْلٍ من المال[٣].

وبلغ ذلك السلطان الغورى، وأنه لم يكن بها حينئذ سور، فبعث الأمير قيت الرجبى[٤] فى طائفة من العسكر نحو ألف فارس غير الرماة والمشاة وذلك فى عام ثمان وتسعمائة لقتال العربان المذكورين من أهل الفساد والزيغ والعناد، والظلم

(١) عشيرة تعرف بذوى إبراهيم من الأشراف، من سلالة السبطين الحسن والحسين بالحجاز (كحالة: معجم قبائل العرب ج ١ ص ٢).

(٢) نسبة إلى السلطان المملوكى بمصر الذى كان يعرف بالملك العادل سيف الدين طومان باى.

(٣) أورده الحضراوى فى الجواهر المعدة فى فضائل جدة.

(٤) انظر بدائع الزهو لابن إياس ج ٤ ص ٤٨ فما بعدها.

والإلحاد، وهم حينئذ بينبع متحصنون بها، وأميرهم المرحوم السيد هزاع بن محمد ابن بركات[1].

ولما بلغ المذكورين وصولُ الأمير قيت الرجبى بعسكره خرجوا من ينبع هاربين وانقلبوا على أعقابهم ناكصين، ثم كتبوا للأمير قيت الرجبى بالعهود والمواثيق، وأنهم يرجعون عن الفساد ويسمعون ويطيعون من غير مخالفة ولا عناد، فتوجه العسكر إلى مكة المشرفة وقضوا مناسكهم، وكتبوا للسلطان الغورى صورة العهود والمواثيق، وأقاموا بمكة إلى أن جاءهم الجواب، بأن يحلفوهم الأيمان المغلظة، فحلفوا وكان ذلك فى بطن وادى مُرّ، على أنهم يستمرون على الطاعة، وتوجهت العساكر إلى الديار المصرية، ثم إن البغاة المذكورين نكثوا العهود والمواثيق، ولم يفوا بالوعود، ولم يستمروا إلا على الطغيان، ونهبوا مكة المشرفة وجُدّة، وأظهروا فيها الفساد، وغالبهم حينئذ زُبيد أهل البغى والعناد.

وكان مولانا السيد الشريف قطب الدين والجود ولى الملك المعبود، بركات ابن محمد[2]، وصنوه السيد الشريف ذو النسب والحسب المطهر المنيف قايتباى ابن محمد[3] رحمهما الله تعالى فى البرارى والبوادى للذب عن سكان الحرمين الشريفين، الحاضر منهم والبادى، وقمع أهل الفساد ومن يريد فيهما بإلحاد، وبمكة حينئذ شرذمة من عسكر الغورى وباشتهم بكتباى، فساروا إليهم وقتلوهم فى ينبع قتلا فظيعاً، وهتكوهم هتكا بليغاً، وغنموا منهم الغنائم.

(١) هو الشريف هزاع بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، أمير مكة توفى سنة ٩٠٧هـ (غاية المرام، ج ٣ ص ١٠٣ وما بعدها)

(٢) بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان أمير مكة ت ٩٣٠هـ (النور السافر، ص١٥٢).

(٣) قايتباى بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان، أمير مكة ت ٩١٨هـ.

ودخل حينئذ مولانا السيد بركات وأخوة السيد قايتباى إلى مكة لحراستها وحمايتها، ووجدوا طائفة من البغاة المذكورين جاءوا إلى جُدّة مكسورين وأرادوا نهبها، وبها حينئذ الخواجا محمد بن يوسف القارى، فاستعد لقتالهم بمن فى جُدّة من التجار وغيرهم ممن قوى عزمه واشتد بأسه وحزمه، وكان له مركب راسٍ(١) فى البحر، وحصن الفقراء والمساكين والنساء والعاجزين فى المركب، وحين بلغ البغاة وصول السيدين الشريفين المرحومين المشار إليهما آنفاً خرجوا هاربين وانقلبوا خاسرين(٢).

وبلغ السلطان الغورى ذلك فجهز الأمير حسين(٣) ومن معه من العسكر والمعمارية وعدد من العمارات(٤). والأمير على المسلاتى ومعه عسكر، والجميع فى أغربة(٥) وبرش(٦) من البحر. وجاءوا إلى ينبع وفرقوا شمل العدو، وقتلوا من بها

(١) س «مرسى».
(٢) النهروالى: الأعلام، ص ٢٤٥.
(٣) هو الأمير حسين الكردى نائب جدة من قبل السلطان الغورى، مات سنة ٩٢٢هـ. ويذكر ابن إياس أن جنود حملة حسين الكردى كانوا فى مجموعهم من جنود الطبقة الخامسة، أى من العساكر التى جددها الغورى فى أيامه، وكانوا يتكونون من المغاربة الذين يرأسهم أميرهم على المسلاتى باش المغاربة، ومعهم بعض أولاد الناس وبعض المماليك السلطانية، والغالب فيهم مغاربة وعبيد سود رماة وتراكمة وغير ذلك، ومعهم فريق من البنائين والنجارين وكثير من العمال لإقامة التحصينات اللازمة، فأبان ابن إياس بهذا أن السبب الرئيسى فى إعداد هذه الحملة هو الغزو البرتغالى، غير أن المؤلف أضاف هنا سبباً آخر لهذه الحملة وهو عمليات السلب والنهب التى قام بها عربان بنى إبراهيم لمكة وجدة، ولم يكن حينئذ على جدة سور (ابن إياس: بدائع الزهور، ج ٤ ص ٦٥، ٨٤ و ج ٥ ص ٢٠٣).
(٤) العمارة: والجمع عمائر، بمعنى أسطول أو مجموعة السفن الحربية (النخيلى: السفن الحربية ص ١٠٢ - ١٠٣).
(٥) الغُراب: نوع من المراكب الحربية شديدة البأس (النخيلى المصدر السابق ص ١٠٤).
(٦) قوارب صغيرة.

منهم. وأحرقوا البلاد بالنار، ووصلوا إلى جُدَّة، وشرع الأمير حسين فى عمارة السور، وتوجه الأمير على المسلاتى وممن وصل من العساكر إلى سَوَاكِن[١] ودَهْلَك[٢] وأقاموا العيد وذلك فى سنة تسعمائة وإحدى عشرة، من العام الذى ولد فيه سيد السادات ومعدن الفخر والفضل والسيادات أبو نمىّ بن بركات[٣]، أسكنه الله من الفردوس أعلى الدرجات بجاه النبى الرسول وآله أبناء البتول عليه وعليهم من الله أفضل الصلاة وأزكى التحيات.

وكان طول أساس السور المذكور فى الأرض اثنى عشر ذراعًا، وطوله المحيط بالبلد من جهة القبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع من غير الأبراج، وهى ستة أبراج، دور كل برج منها ستة عشر ذراعًا بجداره، وعرض جدار السور أربعة أذرع.

وأما الأبراج فطول الشامى واليمانى من على وجه الأرض خمسة عشر ذراعًا والبرجان القبليان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما بباب الفتوح وهو الأيمن، والآخر بباب النصر وهو الأيسر، وطولهما من على وجه الأرض أيضًا كذلك.

وأما البرجان البحريان فقد نزل بهما الغواصون فى البحر اثنى عشر ذراعا، وجميع ما ذكرنا من الأذرعة، فبذراع العمل وهو ذراع ونصف بذراع النَّجَّار[٤].

---

(١) سواكن: بلد مشهور على ساحل بحر الجار، قرب عيذاب، ترفأ إليه سفن الذين يقدمون من جدة (ياقوت).

(٢) دهلك: جزيرة فى بحر اليمن، وهى مرسى بين بلاد اليمن والحبشة (ياقوت).

(٣) هو محمد بن بركات بن محمد بن بركات.. ولد سنة ٩١١هـ. شارك والده فى حكم مكة واستمر شريكا لأبيه حتى توفى أبوه سنة ٩٣١ هـ فوليها بعده أبو نمى هذا (ابن ظهيرة: الجامع اللطيف ص ٣٢٤).

(٤) ذراع النجار التى أشار إليها المؤلف هنا تبلغ ٧٧,٥سم، فتكون ذراع العمل التى قدر بها المؤلف أبعاد سور جدة هى ٧٧,٥ سم × ١,٥ = ١١٦,٢٥ سنتيمتر (المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩١).

فوائد:

فمنها: ما نقله بعض المؤرخين أن عام اثنى عشر بعد عام عمارة السور المذكور كانت عرضة أمير الحاج المصرى[1] فى واحد وعشرين فى شهر ذى القعدة، وسابع عشر فى ذى الحجة الحرام وصلت كسوة الكعبة المشرفة من البحر، وكانت عادة السدنة أنهم يستلمونها فى يوم وصولها، وهذا من الاتفاقيات.

ومنها: أن وصول الكسوة، وهو فى اليوم المذكور آنفا، وصل إلى مكة سلطان البحرين والبرين والحسا والقطيف محمد بن أجود بن جبر فى طائفة من عسكره، وكانت عدتهم خمسين ألفا بحيث أنهم ملأوا السهل والوعر، وكان وصولهم بمكاتبة من المرحوم السيد بركات بن محمد لقتال من تقدم ذكرهم من أهل الزيغ والعناد، ووجد العسكر المصرية وهم مدد الغورى السابق ذكره، فدمروهم بعون الله تعالى الكبير المتعال، وكفى الله المؤمنين القتال. وطافوا بالبيت وتحللوا من الإحرام، ورجعوا إلى بلادهم من غير ضرر لأحد من الأنام، وبعد أن ألبسوا باش العسكر خلعة سَنية، وحصل لهم ثواب ما جاءوا لأجله ببركة صدق النية.

ومنها: أن جملة ما صرف على السور المذكور وتوابعه من الأبراج ودار النيابة المعروفة بالفرضة السلطانية وجامعها الموجود بها الآن، ومُصَلى العيد، وحفر الخندق حول البلد بالاتفاق مائة ألف درهم غُورى، وكان صرف الدينار الغورى ثلاثين محلقا[2] كبيراً فى المعاملة، غير ما حصل من مولانا السيد بركات بن

(١) وورد لدى الرشيدى فى حسن الصفا ص١٤٩ «وفى سنة اثنتى عشرة خرج الأمير خاير بك كذلك، فكان معه فرقة كبيرة من الأمراء والعساكر لقتال يحيى بن سبع أمير الينبوع، وتمكين دراج من ذلك وقتل الأعراب الذين جمعهم».

(٢) المحلق الكبير: من العملات المعدنية المنتشرة باليمن آنئذ (ابن الديبع: الفضل المزيد ص٢٣٠).

محمد رحمه الله تعالى، من أنقاض البيوت التى كانت له قريبة من السور، مساعدة وإعانة في ذلك، منها بيت الصابونى فى جهة اليمن، وبيت الدميرى(١) فى جهة الشام، وصار الآن محل البيوت آثار تدل عليها.

ومنها: أن المرحوم السيد بركات حضر فى أثناء العمارة، وكان فى بعض الأيام يقف على العمارة راكبًا فرسه ليحضر بحضوره جميع مَنْ فى البلد ويعينوهم بالحمل للمؤن، الكبير منهم والصغير، والغنى والفقير. والمأمور والأمير، ولعل ذلك هو السبب فى سرعة العمارة فى هذه المدة الحقيرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

ثم بعد مجىء هذا التجريد، كما ذُكر، وصل سليمان باشا فى سنة خمس وأربعين وتسعمائة، بعمارة كبيرة نحو بضع وسبعين قطعة ما بين غراب وبرشة قاصداً أرض الهند، وكان مسيره من بندر السويس إلى بندر جُدّة سبعة أيام، ودخل فى اليوم الثامن، وأقام فى غرابة، ولم ينزل من الغراب أيامًا قلائل، ونزل بعض عساكره، وصادفوا فصل الصيف ومجىء الرطب والفواكه وموسم الهندى(٢)، ولم ينزلوا إلا ليشتروا من المطعومات والفواكه والرطب بأكثر ثمن. وكان الرطب أربعة أرطال بكبير، والتمرهندى ابتيع كل رطل بكبير، بعد أن كان [كل] رطلين بكبير، وطلع لهم السوقة بجميع المطعومات وغيرها إلى المراكب، ولم يحصل من أحد منهم ضرر لأحد وسافروا إلى أرض الهند.

وكان مسيرهم من جُدّة إلى باب المندب سبعة أيام، ووصلوا إليه فى اليوم الثامن، وسافروا إلى سورات(٣) فى أسبوع كذلك، ونَـزّلوا فى البندر من المدافع

(١) بيت الصابونى.. وبيت الدميرى: تحرف فى س إلى «بيت الصابون.. وبيت الدمير».

(٢) موسم الهندى: مصطلح يطلق على فترة قدوم السفن من الهند إلى ميناء جدة محملة بالبضائع الشرقية (نوال ششه: جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى، ص ٩٦).

(٣) سورات من موانى بلاد الهند.

والعدد شيئًا كثيراً، استولى عليه أعداء الدين بعد رجوع سليمان باشا، وكان رجوعه كما ذكر متواتراً، أن الخان صفر كتب إليه: «إن الإفرنج واصلون إليك من جميع البنادر فى تجهيز كبير من البر، وأغربة من البحر كثيرة، وإن أصبحت فى البندر وصلوا إليك وظفروا بتجهيز السلطان، والرأى عندى أن ترجع بعدد السلطان وأغربته وعسكره، ولا يحصل عليك الحرج بتضييعهم».

فترك ما نـزله من المدافـع والعدد، وسافروا جميعا قبل الصبح، فجمع الفرنج ما تركه، وتقووا به على المسلمين. ولما رجع دخل عدد وقتل صاحبها من بنى طاهر. وكان آخر دولة بنى طاهر بأرض اليمن، ووصل إلى جُدّة من عامه فى أيامه الجمع، وطلع إلى مكة للحج، وسافر بالتجهيز بحراً كُتخداه سليمان.

وبعد الحج توجه سليمان باشا مع الحج المصرى بعد أن حصل بعض فتنة بين عبيد الشريف وأمير الحج.

وعزم فى ذلك العام مولانا السيد أحمد بن أبى نمى، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان، ومعه السيد عرار بن عجل، والقاضى تاج الدين المالكى، والقاضى ابن ظَهِيرَة الشافعى، وإسماعيل الزمزمى، ولم يرجع المرحوم السيد أحمد إلا فى العام الثانى.

وفى ذلك العام وصل الأمير خوش كلدى سنجقاً وأميراً لجُدّة، واستمر فيها إلى عام واحد وخمسين، وسافر فى شهر رجب منه، بعد أن ضبط البلد وحكم فيها حكمًا بليغًا، بحيث أنه أرضى مولانا المرحوم أبا نمى، وأرضى السلطان بحسن سيرته والصدق فى سريرته.

أظهر لمولانا السيد أبى نمى، رحمه الله، فى البندر شيئًا كان يأخذه المتقدمون

من غير علمه من جملة الوارد، فإنه لم يبينه له إلا هو متكلا على البندر، وله مشاركة فيه من قبل السلطان اليمانى والشامى والهندى، فأقامه الشريف رحمه الله، ناظراً من قبله أيضًا، وأغرق حرمة اسمها خديجة الدّهْلكية فى البحر، لما كانت فتنة لمماليكه وغيرهم، ومنع جميع البياعين والشوائين للغنم والسمن والعسل والحطب والخشب ونحو ذلك أن يخرجوا ويتلقوا الركبان ويشتروا من خارج البلد، وأصلح السور على التراب الذى كان تحته بحيث أن الإنسان يرقى على السور من على التراب.

ووضع على الأبراج والأبواب المدافع، وأمر أهل السوق أن يجعلوا عليه من أوله إلى آخره سقفا يجعلونه بالخشب والحديد، بحيث أن الإنسان إذا دخله لا يمشى إلا فى الظل، ولا يصل السقف رأسه، ويجعلوا فيه القناديل توقد كل ليلة من أولها إلى آخرها.

وله بمكه مآثر حسنة كثيرة، منها: بناء السد الذى عند جبل حراء، وتنظيف المأزمين من عرفة ومزدلفة من الصخار التى تضيق المارين، والأشجار التى تقطع الأكسية والأستار، فكان يحفر للصخار الحفر الغزيرة ويلقيها.

وكان السارق يخطف أسباب الحجاج هناك ويصعد الجبل، فجعل تحت الجبلين جداراً من رَضْم من الطرف الشرقى إلى الطرف الغربى(١) وأعلاه بحيث صار السارق إذا أخذ شيئًا وأراد الطلوع إلى الجبل ما يلقى طريقا يصعد به فيمسك.

وله النفقات على ما يقع من المخالفات من الحكام وإصلاح المقامات الأربعة، وتنزيه المساجد خصوصاً المسجد الحرام من القاذورات.

(١) تحرفت العبارة فى س إلى «فجعل تحت الجبلين جداراً ظما من الطرف الشرقى..» والرضم: الحجارة البيض وصخور عظام بعضها على بعض (المعجم الوسيط).

وفى العام الذى سافر فيه معذولا عمرت دار السعادة بجدة، وهو عام واحد وخمسين. وجعل الشيخ عبد الله باكثير[1] تاريخًا في أربعة أبيات أخرها. ثم إن الأمير خوش كلدى بعد مدة تولى وجاء راجعا إلى جُدة بأمور تضيق منها الصدور، فلم يبلغه الله مراده وأغرقه، وكان عمله غير صالح[2].

ومنها ينبغي لمن دخل هذا الثغر المبارك أن ينوى الرباط والجهاد والذب عن بيت الله العتيق، ويصحب معه شيئًا لدفع أهل الكفر والعناد. وقال العلماء ﷺ: إن النية شُرعت لتمييز العبادات عن العادات، ولتمييز رُتب العبادات، فبالنية يحصل ثواب ما ينويه من الجهاد، إذ العبادات متوقفة على النية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات»[3] وقد بين ﷺ ما يحصل للمجاهد بقوله ﷺ: «رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها»[4] وقوله ﷺ: «رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[5]. وقوله ﷺ: «إن فى الجنة درجات أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»[6] وقوله ﷺ: «كل مَيِّت[7] يختم على عمله إلا الذى مات مرابطا فى سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمَنُ مِنْ فتنة القبور»[8]. وقوله ﷺ: «مقام أحدكم

---

(١) فى الأصلين «عبد الرحمن باكثير» ولعل المثبت أولى، وانظر النهروالى: الإعلام، ص٢٨٧.

(٢) س «وكان عملة ردية».

(٣) أخرجه البخارى: باب كيف كان بدء الوحى ج ١ ص ٢.

(٤) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٧٣٨.

(٥) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٥١١.

(٦) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٥٣٥.

(٧) ميت: تحرف فى الأصل إلى «بيت» وصوابه من الكنز.

(٨) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٧٤٣.

فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما»[1]. إلى غير ذلك مما أعده الله للمرابطين، وأخبر به سيد الأولين والآخرين من الفضائل التى لا تحصى والدرجات التى لا تُستقصى، والحور والقصور التى للمرابطين معدة، لا سيما مرابط جُدَّة، كيف لا، وهو الثغر الذى هو منسوب لأم القرى والبلد الحرام، ومربى سيد الورى، والمحل الذى جعله الله تعالى حرمًا آمنًا، يُجبى إليه الثمرات، والمخصوص بالمآثر والمشاعر العظام التى تُستجاب فيها الدعوات.

(١) أورده السيوطى فى الجامع الصغير ٢/ ١٥٦ ورمز لصحته.

٤

فصل

فى ذكر ما اشتمل عليه من العلماء والصلحاء
وما ظهر لهم من الكرامات وبهر من المناقب الواضحات
فى حياتهم وبعد الممات، وما فيها من المساجد والزوايا المشهورات

فمنها: المحل الذى اشتهر ونقله الخلف عن السلف بالروايات المتواترة، وهو قبر السيدة حواء، أم البشر، بخارج السوق، شمالى البلد، يعرفه كل أحد، ومما ظهر له من الكرامات أن المراكب الواصلة من أرض الهند فى كل عام، إذا تأخر بعضها، ولم يظهر لها خبر يأخذون رجلا من البحرية ويزفونه بالطبول والزمور من داخل البلد إلى القبر المذكور، فإذا وَصلُوا هناك سقط مغشيا عليه فيسأل عن خبر أى مركب متأخر[١]، فيذكر لهم حاله الذى هو فيه، وفى أى محل؟ وهل هو سالم أو عاطب، ثم يظهر لهم صدق مقاله بإذن الله تعالى، ويأتيه الزوار بالنذور من جميع الجهات[٢].

ومنها: الجامع العتيق، أحد الجوامع الثلاثة وأكبرها وأقدمها، قيل: إنه أول مسجد بُنى فى جُدة، وأن الآمر ببنائه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[٣] ﷺ فى خلافته.

ومعه من جهة القدم مسجد آخر يسمى مسجد الآبنُوس[٤]، يأتى ذكره إن شاء الله تعالى، وأن الجامع العتيق المذكور عمرّه ثانيًا الملك المظفر[٥] من ملوك

(١) س «فيسأل عن خبره، أى المراكب المتأخرة، فيذكر..».

(٢) هذا القول لا أساس له من الصحة، وإنما هو من الأساطير التى درج بعض المؤرخين فى العصور الوسطى على إيرادها فى كتاباتهم دون نقد أو تمحيص.

(٣) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.
(٤) ابن جبير، ص ٥٠.

(٥) هو: يوسف بن عمر بن على بن رسول، صاحب اليمن وثانى ملوك بنى رسول بها وأول =

اليمن، واستمر إلى عام أربعة وأربعين وتسعمائة، ووصل تاجر من الهند اسمه محمد على بجميع مؤنه من أخشاب ودعائم وكراسيها وقواعدها منجورة من أرض الهند بالكيفية الموجودة فى المسجد الآن، وأعلا أرضه بالدفن[1] بعد أن كان ينزل إليها بنحو أربعة درج، وعمره بهمة جليلة ونية صادقة مثيلة، عمارة حسنة جميلة، تسر الناظر وتشفى، ولم يبق عليه إلا المنارة، وأنها باقية من زمن الملك المظفر إلى تاريخه.

وأما منبر الخطيب، فإن تفصيله وشغله فى جُدّة حينئذ بيد المعلم أبى العيد النجار، وقيل: إن المال الذى وصل به الخواجا محمد على من الهند، والمؤنة والعدد الموجودة الآن لبعض وزراء الهند، أرسل للخواجا محمد على رحمه الله لذلك.

ثم إنه بنى بيوتًا ودكاكين من المال الذى وصل به، وتوفى قبل كمال البنيان وكتابة الحجة التى تشهد بالوقفية، ثم إن بنت الخواجا محمد على ادعت أن هذه البيوت والدكاكين ملك من أملاك والدها عمّرها بماله، ولم يوجد ما يدافعها به من أوراق أو غيرها.

واستمر الجامع ليس له ما يستعان به على إقامة شعائره من الأوقاف، ولعل الله يوفق له من يعمل له شيئا من ذلك، فهو المولى القدير على ما هنالك ونعم المولى ونعم النصير.

وذكر حجة الإسلام الغزالى فى إحياء علوم الدين عن طاهر بن بلال الهمدانى

= من كسا الكعبة منهم. توفى سنة ٦٩٤هـ (الفاسى: العقد الثمين ج ٧ ص ٤٨٨: الخزرجى: العقود اللؤلؤية ج ١ ص ٨٥ فما بعدها.

(١) أى ردم أرضه بالتراب من أجل التعلية.

أنه قال: «كنت معتكفًا فى جامع جُدّة، فرأيت طائفة يقولون الشعر ينشدونه فى جانب منه ويسمعون، فأنكرت ذلك عليهم بقلبى، وقلت: فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر!.

قال: فرأيت النبى ﷺ تلك الليلة فى المنام وهو جالس فى تلك الناحية، وإلى جانبه أبو بكر يقول شيئًا من القول والنبى ﷺ يصغى إليه، ويضع يده على صدره كالواجد بذلك، فقلت فى نفسى: ما كان ينبغى لى أن أنكر على أولئك الذين كانوا يسمعون، وهذا رسول الله ﷺ يسمع وأبو بكر يقول. فالتفت إلىّ النبى ﷺ، وقال: هذا حق بحق أو قال حق من حق. والشك منى»(١). انتهى.

وفى الجامع صهريج قديم، والظاهر أن الآمر بعمارته الملك المظفر، وهو الآن خراب، فقيض الله له من يصلحه، حتى إذا جاء المطر يدخل فيه شىء يستعان به على مصالح المسجد وأرباب شعائره بمنه وكرمه، آمين.

قلت: لو قال قائل(٢): إن قول الهمدانى الوراق المذكور معتكفاً فى جامع جُدّة يحتمل أنه أحد الجامعين الآخرين الآتى ذكرهما لعدم تخصيص القديم [بعينه. قلت: يرد هذا القول كون الجامع القديم](٣) ذكره السيد الفاسى فى تاريخه، أن الجامع الكبير المشار إليه، أن أول عمارته فى خلافة عمر بن الخطاب، والآخرْين، أحدهما قيل: إنه فى القرن العاشر، وهو جامع الفُرضة، بنى مع السور، والراوى عن الهمدانى الوراق قبل وجود الجامعين بقرون كثيرة، والله أعلم.

ومنها: الجامع الثانى المسمى الدامغانى، ويسمى الشيروانى، وهو الذى بساحل

(١) الغزالى: إحياء علوم الدين: باب السماع، ج ٦ ص ١١٢٣ (طبع دار الشعب ـ القاهرة).

(٢) س « قلت لو كان قال قائل».

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من س.

جُدّة ملاصقًا لبيت مولانا الشريف حسين بن أبى نمى، نصره الله وأدام دولته وجعلها باقية فيه وفى ذريته إلى يوم القيامة.

قيل: إن سبب عمارته هو أن تاجراً توفى وعليه دينٌ لآخر قدره خمسمائة دينار بحجة شرعية، وللمتوفى ورثة صغار، فحضر رب الدين عند القاضى وادعى أن له فى ذمة المتوفى خمسمائة دينار، وأظهر بيده حجة شرعية ثابتة، فطلب القاضى منه يمين الاستظهار، فامتنع التاجر من اليمين، وامتنع القاضى من إعطائه إلا باليمين، وصار القاضى مراده براءة ذمة المتوفى، وإيصال صاحب الحق حقه، فاحتال عليه بحيلة إلى أن حلف بحضرة من أذن له القاضى باستحلافه، فأمر القاضى له بالمبلغ المذكور، وطلب منه الحجة فامتنع من أخذ المبلغ وقال: عجباً! أولا قال القاضى ما أعطيك حتى تحلف(١)، والآن أرسل المبلغ من غير اليمين! فقالوا له: إنك حلفت بحضرة فلان وفلان، فغضب التاجر وحلف أن هذا المال لا يأخذه ولا يدخل بيته على ماله مالاً بيمين، وامتنع القاضى من استرداد المال إليه، ثم اتفقا أن يصرف هذا المال فى عمارة مسجد لله تعالى، وكان مصرفه فى إنشاء هذا المسجد الجامع الصغير، ثم عمره تاجر اسمه فلان الدامغانى ثم بعده فلان الشيروانى.

ثم لما كان عام أربعة وأربعين وتسعمائة، وهو العام الذى بنى فيه الجامع القديم قبله، حصل مطر عظيم وسقطت منارة كانت قبلى الجامع وقتلت نحو عشرين آدميا، وخرب الجامع فشرع فى عمارته تاجر رومى اسمه الأكوز، وتوفى قبل إتمامه، ثم شرع فى عمارته رجل اسمه سنجقدار، وأتم المسجد ووصل فى المنارة إلى هذا المحل الذى هى فيه، وهو الدور الأول، وتوفى وترك فى الجامع مئونة كثيرة

(١) س «ما أعطيتك إلا حتى تحلف» والخبر ليس فى ت.

وشبابيك وأبواب كبيرة، وجعل له ثلاثة أبواب: باب شمالى، وباب صغير قبلى بقرب المنبر لأجل الخطيب(١).

ومنها: الجامع الثالث وهو الذى بناه الأمير حسين(٢) الذى بنى السور فى عام أحد عشر [وتسعمائة] بأمر السلطان الغورى، رحمه الله، فى الفُرضة السلطانية التى هى دار النيابة. وقد خرب الآن الجامع الثانى المذكور قبل هذا، ولعل الله يأتى له بمن يعمره.

ومنها: مسجد يقال له: مسجد الآبنوس، له دعامتان من الآبنوس كانتا عن يمين محرابه وشماله. ذهبت إحداهما وبقيت الأخرى إلى الآن، وهو الذى ذكرته آنفًا مع ذكر الجامع القديم. ذكر الفاسى فى تاريخه أن هذا المسجد هو الجامع القديم، أول مسجد بنى بجدة، وكان سيدنا عبد الله بن عباس ﷺ يأتى إلى جُدّة فى زمن الشتاء ويعتكف فيه، والآن فيه طائفة الجبرت المعروفة بأهل الفاتحة، وهم منقطعون فيه لتعليم القرآن، ومشهورون بالصلاح، تأتيهم النذور والصدقات، وفيه رجل صالح، وفيه صهريج يملؤه أهل الخيرات ليشربوه في رمضان إعانة على العبادة، وهذه الطائفة منهم بمكة أناس كثيرون منقطعون فى المسجد الحرام على الاستقامة، وفقنا الله وإياهم لما يحب ويرضى.

ومنها: مسجد داخل السور بشق الشام فى محل اسمه الحريق، يسمى بمسجد أبى العنبة، باسم رجل صالح مقبور اسمه على، وكان بجنب قبره شجرة كرم سمى بها لما أضيفت إليه، وبجنب القبر بئر فيها ماء مالح، وهذا من كرامته، وتشرب الكرمة من ماء المطر، وهذا إذا حصل بجُدّة ثم انقطعت الكرمة.

(١) لم يذكر ابن فرج الباب الثالث.

(٢) هو الأمير حسين الكردى نائب جدة فى عهد السلطان الغورى.

وأخبرني الشيخ الطاهر من بني المساوى الجبني عن والده، أن هذا المسجد كان عليه بنيان من عريش، فلما كان أول القرن العاشر سكن المحل الشيخ أحمد ابن الصديق والد الطاهر الجبني بإشارة من شيخه الصديق الشاذلي، صاحب القبة بالحديدة. وقال المساوى: كنت أخدم الشيخ الصديق الشاذلي في حياته، فقال لي في بعض الأيام: يا مساوى، اعزم إلى جُدّة وانظر هناك في جهة الشام محلا اسمه الحريق، فيه مسجد من عريش، وفيه قبر رجل من الصالحين، وفي المسجد حداد، خرّج الحداد، واعبد الله في ذلك المكان ليفتح عليك. قال: فجئت إلى المكان في جُدّة، ورأيت المحل الذي وصفه لي شيخي كما ذكر. وأخرجت الحداد منه وجلست فيه، فقيض الله لي رجلا صالحا اسمه عثمان الزكي من أهل جُدّة، فعمره بالحجر والطين.

ثم بعده بمدة سنتين قُيّض له رجل تاجر اسمه محمد القومني فأصلحه وأدخل القبر في آخر المسجد، وجعل له بركة للوضوء يصب فيها من البئر قد تقدم ذكره عند (القزويني[1]) وعلى البركة خلوة، واستمر المساوى في المسجد على العبادة وقراءة القرآن كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العصر على طريقة أهل اليمن، وتزوج وأتى بالأولاد، وتوفي في عام اثنين وأربعين وتسعمائة.

أقام المسجد أولاده إلى أن انقرضوا بأجمعهم، وكانوا على طريقة حسنة. وفي سنة تاريخه خرب المسجد بسبب الأرضة، أكلت أخشابه وسقط معظمه، فسخّر الله له الخواجا المكرم جمال الدين محمد بن محمد بن أحمد الشجاعي، عين أعيان التجار المكرمين ببلد الله الحرام، فأقامه أحسن إقامة، وزاد فيه شيئا يعين إمامه على الاستقامة، تقبل الله منه ذلك.

---

(١) كذا في س، وفي ت «القزويين».

وأما الشيخ المساوى المذكور، فإنه كات له كرامات حيا وميتًا، أما كرامته حيا فإنه قال: كنت يومًا فى هذا المسجد عند ضريح الشيخ على أبى العنبة المذكور، وأنا ضيق الصدر، فقلت بلسانى من صميم فؤادى: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ رافعًا صوتى، فرأيت التابوت تحرك وسمعت صوت الفقيه الجحنون رفيعًا وهو يقول: أحسنت يا مساوى، والله لقد أحييت ما بى بهذه الكلمة[1].

ومن كراماته أن والدى رحمه الله تعالى، قال: كنت ولدًا لا أعرف شيئًا من العلم، فقال لى الشيخ المساوى: يا أحمد، اقرأ فى العلم، فإنه يُفتح عليك، فقلت له: ما معى كتاب أقرأ فيه، فقال لى: إذا دخلت بيتكم فانظر فى القاعة كتابًا خذه واقرأ فيه علَىَ: المقبول ابن خويط، وكان المقبول من العلماء العاملين، تفقه على يدى سيدى الشيخ أبى القاسم الجنيد أحمد بن موسى المشرع[2]، وترك كل شاغلٍ يشغله عن خدمة الشيخ أبى القاسم الجنيد، فدخلت بيتًا وأخذت الكتاب، ففتح لى فى طلب العلم إلى أن مَنّ الله علَىّ بنعم لا تحصى، وكان الشيخ المساوى قط ما أعلم أنه دخل بيتا.

ومن كراماته أنه كان إذا مرض يأتون إليه الجن ويعودون ويتأنس بهم، وكان إذا حصل له شىء من الدراهم لا يمسك منها إلا كفاية يومه، وكذلك الحَبّ لا يمسك منه إلا كفاية يومه، ويتصدق بالباقى على جيرانه والمستحقين.

وأما بعد موته فإنه لما توفى جاء إلى قريته نحل كثير فى سنة وفاته، وأقام بها ووضعوا له خُلبًا[3] يجمع فيها العسل، وكانوا يأخذون الأقراص الشمع بعسلها، واستمر ذلك سنين إلى أنْ فَـرَّ عنها.

(١) هذا من الخرافات والأوهام التى كانت شائعة فى هذه البيئات آنئذ.
(٢) له ترجمة فى النور السافر، ص ٩٧.
(٣) الخُلب: لب النخلة والليف وورق الكرم العريض، واحدته خُلْبَة (المعجم الوسيط: خلب).

وأما الشيخ على أبو العنبة المقبور بالمسجد المذكور أولا، فإنى كنت فى بعض السنين، وأنا شاب أُكَبِّر ليلة العيد، عيد الفطر بعد الغروب على سطح المسجد، فرأيت النور خرج من محل القبر إلى عنان السماء ساعة وأنا شاخص أنظر، وضوءه كضوء البارود الذى تصنعه الهنود بالليل بياضاً فائقًا لا يشبه نور الشمس ولا القمر ولا السراج، ثم نزل إلى حيث خرج.

وقد ذكر لى بعض من يأتى المسجد ليلاً يرى شخصا ثم يغيب(1).

وأمّا منامًا فقد رُئِى مراراً كثيرة، وكان الشيخ المساوى يذكر أن عند قبره خادمين من الجن، اسم أحدهما موسى والثانى محمود(2).

ومن المساجد: مسجد الحداد بجانب زاوية سيدى الشيخ محيى الدين عبد القادر الجيلانى(3)، مدفون فيه رجل صالح يقال له: على بن أبى بكر الحداد المقبور والده بزبيد، وللشيخ على كرامات منها، أن بيتًا قُبالة باب تربته شمالى المسجد دخله سارق ليلا، وحمل منه صندوقًا على رأسه وأراد النزول من شباك فى واجهة البيت التى فيها بابه، فرأى أسداً باركا على تربته فاتحاً فاه، وعلى باب زاوية الشيخ عبد القادر الجيلانى آخر باركا كذلك، فاستمر السارق متعلقًا فى الشباك والصندوق على رأسه إلى أن أصبح الصباح، ومسكوه وسألوه عن سبب عدم نزوله، فأخبر بما شاهده.

والمسجد المذكور لم يزل فيه بعض الفقهاء الصالحين الملازمين لتلاوة القرآن ليلا ونهاراً ما مضى من الزمان وإلى هذا الآن.

---

(1) س «لم يغيب».

(2) هذا الخبر وما يليه من الخرافات والأوهام التى كانت شائعة فى هذه البيئات آنئذ

(3) له ترجمة فى الطبقات الكبرى للشعرانى ج 1 ص 126.

ومنها: مسجد يقال له: مسجد شميلة، بناه رجل من وزراء الشريف حسن بن عجلان، اسمه شميلة بن راجح الحفيصى، وله مآثر كثيرة، وسُبُل وأوقاف، وكان محبا للفقراء والمساكين. ومن جملة مآثره هذا المسجد المذكور، ولم يزل عامرا بقراءة القرآن وطلب العلم، وفيه بئر وبركة للوضوء وملازمة بالصلاة وغيرها، ألا فتح الله عليه. وكان فيه فقيه الفقيه فرج ثم بعده الشيخ الجبنى، شيخ والدى إلى أن توفى، ثم منّ الله تعالى علىّ باقتفاء آثارهم والانتظام فى سلكهم ووراثة أسرارهم.

ومنها: مسجد الخضر، عليه السلام، فى جهة الشام قريبًا من البحر، مشهور البركة، كثير الجماعة فى سائر الأوقات يمتلئ من المصلين، سمى بمسجد الخضر لكونه رُئِى فيه مراراً، أنشأه القائد بريد بن شكر، وزير الشريف محمد بن بركات، وجعل له أوقافًا حوله تقوم به.

وفى هذا العام وفق الله لعمارته مخدومًا من أهل الخير والمعروف اسمه ياقوت اسطنبولى تابع الوزير حسن بالأقطار اليمانية، جدده حتى صار كاللؤلؤة المضيئة فشكر الله سعيه، وزكى أعماله الخالصة الزكية، وأجرى الخيرات على يده للرعية، آمين.

وفيها من الأولياء المشهورين بالصلاح والعلوم الشيخ عفيف الدين عبد الله المظلوم، وقبره داخل السور فى جهة الشام، ويسمى المحل والبقعة التى هو فيها بالمظلوم من باب تسمية المحل باسم الحال.

له كرامات خارقة وشهيرة فى البلاد فائقة، تأتى إليه النذور والصدقات من جميع الجهات، وكل سفينة تأتى من الهند والشام واليمن وبحر العجم ولم يكن فيها نذر باسمه يحصل لأهلها غاية التعب ونهاية الندم، وكل من حلف عند قبره حانثًا حل به العطب والسقم، ولهذا من أراد تغليظ الأيمان على الخصوم يحلفهم عند قبر

الشيخ المظلوم، نفعنا الله تعالى ببركاته، وجعل لنا نصيبًا من بركة كرامته والمؤمنين، آمين.

هذا ما انتهى إلينا من التواريخ والله أعلم، وبالله التوفيق وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان فراغ نسخه يوم الأحد ثامن عشر من رمضان بعد الظهر على يد المعترف بالعجز والعيوب أحمد بن محمد بن يعقوب، الإمام بمقام الحنفى حالا، من عام ستة وثمانين ومائة وألف[١].

---

(١) هذا خاتمة النسخة س. وجاء فى خاتمة النسخة ت «تمت بحمد الله بيد كاتبها الفقير محمد عبده ابن الشيخ المرحوم محمد الحضراوى، يوم الجمعة المبارك الموافق ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣١٥هـ.

فهرس الفهارس

١- فهرس الأعلام

٢- فهرس البلدان والأماكن

٣- فهـــرس القبائل والأمم

٤- فهـــرس الأحاديـــث

٥- فهـــرس الكتب المذكورة فى المتن

٦- فهـــرس الألفاظ الاصطلاحية

٩- مراجـــع التحقيق

١- إحياء علوم الدين: الغزالى (محمد بن محمد أبو حامد ت ٥٠٥) طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة بيروت.

٢- أخبار مكة: الفاكهى (محمد بن إسحاق من علماء القرن الثالث الهجرى) ت عبد الملك دهيش، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

٣- الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: النهروالى (محمد بن أحمد المكى ت ٩٩٠هـ) لايبزج ١٨٥٧م.

٤- بدائع الزهور فى وقائع الدهور: ابن إياس (محمد بن أحمد ت ٩٣٠هـ) ت محمد مصطفى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٧٥م.

٥- تاج العروس: الزبيدى (محمد مرتضى ت ١٢٠٥هـ) القاهرة ١٣٠٦هـ.

٦ـ تاريخ المستبصر: ابن المجاور (جمال الدين يوسف بن يعقوب ت بعد ٦٢٦هـ) ليدن ١٩٥١م.

٧- تهذيب التهذيب: ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢هـ) حيدر أباد، الهند ١٣٢٥هـ.

٨- الجامع الصغير فى أحاديث البشير النذير: السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ) مطبعة مصطفى الحلبى، القاهرة ١٩٥٤م.

٩- الجامع اللطيف فى فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف: ابن ظهيرة ـ جمال الدين محمد ابن جار الله ت ٩٨٦هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٣٨م.

١٠- جدة فى مطلع القرن العاشر الهجرى لنوال سراج ششة، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

١١- جدة القديمة وسكانها لحمد الجاسر، العرب ج ١، ٢ السنة السابعة عشرة، رجب، شعبان ١٤٠٢هـ، مايو، يونيو ١٩٨٢م.

١٢- الجواهر المعدة فى فضائل جدة ـ تحقيق حمد الجاسر، مجلة العرب الأجزاء من ٥-١٢ السنة الثالثة عشرة، ١٣٩٨ ـ ١٣٩٩هـ.

١٣- حسن القِرى فى أودية أم القرى: جار الله ابن فهد (محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤هـ) مخطوط فى معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامى فى جامعة أم القرى برقم ١٧٠ تاريخ.
١٤- حول مدينة جدة لحمد الجاسر، العرب ج ٣، ٤، السنة الخامسة عشرة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٥- رحلة ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤هـ) القاهرة ١٩٥٥م.
١٦- السفن الحربية على حروف المعجم لدرويش النخيلى، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤م.
١٧- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب: ابن العماد (عبد الحى ١٠٨٩هـ) القاهرة ١٣٥٠هـ.
١٨- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) بيروت ١٩٨٥م.
١٩- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا: القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ) مصورة عن طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٦٣م.
٢٠- صحيح البخارى (محمد بن إسماعيل ت ٢٥٦هـ) دار الشعب القاهرة بدون تاريخ.
٢١- الطبقات الكبرى: الشعرانى (عبد الوهاب بن أحمد ت ٩٧٣هـ) مطبعة مصطفى الحلبى ١٩٥٤م.
٢٢- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) القاهرة ١٩٦٠م.
٢٣- العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية: الخزرجى (أبو الحسن على بن الحسن ت ٨١٢هـ) القاهرة ١٩١١م.
٢٤- غاية المرام فى أخبار البلد الحرام: ابن فهد (عبد العزيز بن عمر ت ٩٢٢هـ) تحقيق الأستاذ فهيم شلتوت، مركز تحقيق التراث، جامعة أم القرى مكة ١٩٨٦ فما بعدها.
٢٥- الفضل المزيد على بغية المستفيد فى أخبار زبيد: ابن الديبع (عبد الرحمن بن على ت ٩٤٤هـ) الكويت ١٩٨٢م.

٢٦- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة: الشوكانى (محمد بن على ت ١٢٥٠هـ) مطبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٦٠م.
٢٧- قلائد الجمان فى التعريف بقبائل الزمان: القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على ت ٨٢١هـ) دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٦٣م.
٢٨- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال: المتقى الهندى (علاء الدين على ت ٩٧٥هـ) مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٩م.
٢٩- لسان الميزان: ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢هـ) حيدر أباد، الهند ١٣٢٩هـ.
٣٠- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: ابن عبد الحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن ت ٧٣٩هـ) دار المعرفة، بيروت ١٩٥٤م.
٣١- معجم البلدان: ياقوت (ابن عبد الله الرومى ت ٦٢٦هـ) دار صادر بيروت ١٩٧٧م.
٣٢- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة: كحالة (عمر رضا) مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩١م.
٣٣- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية، القاهرة ١٩٨٥م.
٣٤- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى لفالتر هنتس، عمان، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠م.
٣٥- ميزان الاعتدال: الذهبى (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ) ت الأستاذ على البجاوى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣م.
٣٦- النهاية فى غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (المبارك بن محمد ت ٦٠٦هـ) ت د. محمود الطناحى، مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣م.
٣٧- النور السافر عن أخبار القرن العاشر: العيدروسى (محيى الدين عبد القادر ت ١٠٣٨هـ) بغداد ١٩٣٤م.

١٠- فهـــرس المحتـــويات